مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار السابع عشر
المجلد (٥) العدد (٤)
٢٠٢٤ (١-١٣)

مجلة
أنساق

Middle East Institution of scientific Publishing

البعد الروحي في مفهوم السعادة عند بديع الزمان سعيد النَّورسي

بثينة عدوني

دكتوراة عقيدة ومقارنة اديان ، جامعة الزيتونة تونس

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ نوفمبر ٢٠٢٤م

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

*** مقدمة**

لقد بقي لغز الحياة الروحية للإنسان فاتنا وممتعا بالنسبة للكثير من العلماء والفلاسفة والحكماء عبر التاريخ، إذ كانوا يستمتعون في البحث بتلك الأسئلة التي لا جواب عليها وكان أبرزها بلا ريب البعد الروحي عند الإنسان، وفي هذا المعني يقول داين واير ":إن ذاك الذي لا صورة له في دواخلنا، لا يمكن تدميره ، يعيش الجانب الروحي من جميع الموجودات في الأبدية، لا يتأثر بالبدايات والنهايات، يبدو أن الحقيقة هي أن جوهرنا أبدي، وأن الجسد المادي يأتي ويذهب فقط في دورة الحياة والموت".

والروح مصطلح أعيا أذكي العقول في التاريخ، فاحتضنها العقل البشري وآمن بها، دون أن يدركها ويكتشف مكنونا، فبقيت سرا غيبيا لم يتمكن أحد من تعيينها أو وصفها أو الاقتراب من حدود عالمها، رغم أن الإيمان بها عقيدة رافقت قصة الإنسان منذ بداية الخليقة حتى اليوم .وعقيدة الروح في القرآن الكريم وردت على عدّت أوجه :أحدها :كقوله تعالى " :وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ." وقوله تعالى ":رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ." وقوله تعالى " :نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ."وقوله تعالى " :يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ."وقوله تعالى ": إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ."وهذا ما يفسر الاعتقاد الراسخ بين المسلمين بالروح.

ولقد جرى التنقيب من جديد عن المعاني الروحية في الأديان والحضارات القديمة، وعادت أقوال الحكماء والفلاسفة تأخذ مكانها في كثير من مؤلفات التنمية الإنسانية اليوم، وهذه العودة بعد انقطاع يبدو أنها طبيعة بشرية من جهة ومن جهة أخري نقلات نوعية في الفكر الإنساني .وهو ما يلقي الضوء كذلك على محاولات فلاسفة وفقهاء الإسلام وصف الروح أو الإتيان بما يقرب وعي الإنسان لها، ومن بين هؤلاء يمكننا أخذ بديع الزمان سعيد النورسي نموذجا، فكيف كان البعد الروحي لمفهوم السعادة عنده؟

*** مولده ونشأته**

من المعلوم أن لكل مفكر نهجا خاصاً وفكراً متميزاً وله غاية يسعي لها في حياته الفكرية، وهدف

يرتبط به من صميم قلبه ارتباطا وثيقاً ولأجل معرفة علاقة بديع الزمان النورسي بالمنطق والفلسفة والعلوم الكونية واستقصاء منهجه القرآني المتصالح مع كل هذه العلوم وجب الرجوع لسيرته ونشأته.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في عام 1293هـ1873/م بقرية نورس التابعة لولاية بلتيس شرق الأناضول، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في أواخر عمر الدولة العثمانية، وقد عاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة .كان والده الصوفي ميرزا ورعاً يضرب به المثل، لم يذق حراما قط، ولم يطعم أولاده من غير الحلال، حتى إنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعي شد أفواهها حتى لا تأكل من مزارع الآخرين ويقال أن أمه نورية كانت لا ترضع أولادها إلا على طهر ووضوء.

ومن هذه البيئة الربانية والمعرفة القلبية ومدارج التصوف وقواعده، انخرط النورسي في طلب العلم في المدراس الدينية، واكتشف العلماء والمدرسون الذين أشرفوا على تعليم شعيد، أن سعيدا يتمتع بمواهب فائقة فقد أكرمه الله بذاكرة قوية وحادة تمكنه من استذكار القطع العربية الصعبة واستظهارها في وقت قصير جدا . وقد أجتمع عليه مرة بعض العلماء وأجمعوا على وامتحانه، فسألوه عما بدا لهم من عويص المسائل فأجاب بإجابات تصل إلى أعماق القلوب فاعترفوا جميعا بفضله ومهارته، وقد ظهرت مخايل النبوغ والذكاء على سعيد النورسي منذ طفولته، حيث كان دائم السؤال والاستطلاع لكل ما استغلق عليه فهمه، فكان يحضر مجالس الكبار ويصغي إلى ما يدور بينهم من مناقشات شتي ولا سيما علماء قريته الذين كانوا يجتمعون عند والده .ثم تلقي علومه الأولى في كتاب قرية طاغ عام 1300هـ1882/م وكان يرفض أن يأخذ زكاة أو صدقة وهو لا يريد إلا إرضاء الله للفوز برضوانه، ويقول":لا أريد العدم بل البقاء "، ثم ذهب إلى مدرسة في قضاء" بايزيد " التابعة لولاية " أغري "وهنا بدأت الدراسة الدينية في حياة سعيد، إذ أنه لم يكن قد درس حتى الآن غير النحو والصرف وبدأ في قراءة جميع الكتب التي كانت تدرس في المدارس الدينية، وكان يقرأ في اليوم الواحد من متون أصعب الكتب مائتي صفحة ويفهمها دون الرجوع إلى الهوامش والحواشي، وكان يقرأ على ضوء الشموع، ثم أخذ إجازته العلمية.

ثم انتقل إلى كثير من البلاد في طلب العلم حتى وصل إلى مدرسة العالم المعروف في ذلك الوقت " فتح الله أفندي "الذي امتحنه في الكتب التي قرأها وقال له بعد ذلك }: حسنا إن ذكاءك خارق، وإن اجتماع الذكاء الخارق مع القوة الخارقة للحفظ شيء نادر جداً .{وكتب له على غلاف كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه لابن السبكي }لقد حفظ جمع الجوامع جميعه في جمعة{، ولم يلبث هذا الخارق إلا فترة قصيرة حتى أقبل عليه علماء المدينة يحاورونه حتى أفحمهم فأطلقوا عليه } سعيد المشهور.{

وقد انكب على حفظ المتون من كل علم ، فحفظ عن ظهر قلب خلال سنتين من متون الكتب "المطالع "و"المواقف "وأمثالهما من الكتب التي ترد الشبهات وتدفع الشكوك الواردة على الدين، فضلا عن حفظه متون كتب العلوم الآلية كالنحو والصرف والمنطق وغيرها، ومتون كتب العلوم العالية كالتفسير وعلم الكلام والحديث والفقه، واهتم بحفظ تلك المتون من أمهات الكتب الإسلامية في مختلف العلوم والفلسفة، لتصبح مفاتيح للحقائق القرآنية .

أما بالنسبة لاطلاعه على العلوم الحديثة فقد رأي النورسي أن أسلوب علم الكلام القديم قاصر عن رد الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، فينبغي استحصال العلوم الحديثة أيضا .وقد حقق تشخيصه هذا الأجواء للخدمة القرآنية العظيمة والعمل الإسلامي الجليل في المستقبل، فطفق يطالع كتب العلوم الحديثة حتى استحصل على أسسها من تاريخ وجغرافيا ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة وأمثالها من العلوم .وذلك خلال مدة قصيرة جدا، فمثلا حفظ عن ظهر قلب خلال أربع وعشرين ساعة كتابا في الجغرافيا قبل أن يناظر في اليوم التالي مدرس الجغرافيا ويلزمه الحجة في دار الوالى } طاهر باشا {وعلى الشاكلة نفسها ألزم مدرس الكيمياء، بعد أن حفظ كتابا في الكيمياء غير العضوية.

ومن هنا انطلق فاتحا مسلكا جديدا في مجال تجديد الدين بهذا العصر، دون أن يحدث قطيعة كاملة مع مفاهيم الصوفية ومصطلحاتهم بل حتي قواعدهم في التربية والتوجيه .

*** محطات مهمة من حياة النورسي**

عاش بديع الزمان النورسي أكثر من ربع قرن من الزمان في السجون والمنفي، لقد جاء النورسي في فترة من فترات التاريخ كانت الأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى فكر إسلامي مستنير يدعو إلى العمل والإنتاج، ولذا دعا النورسي إلى خروج الأمة الإسلامية من الاغتراب الزماني والاغتراب المكاني وذلك بالربط بين الواقع وثواب الحضارة الإسلامية وبين مصادر وعوامل التقدم المعاصر، وليس هناك من وسيلة للربط غير الدين والعلم في إطار من حرية الفكر وسياسة عقلانية وتسامح مستنير.

وهذا الفكر دفع النورسي لخوض عدة محطات في حياته بين العداء من السياسيين والتأييد من العلماء منها: –

١– لقائه بالسلطان عبد الحميد :قدم سعيد النورسي عريضة إلى السلطان عبد الحميد يطلب فيها فتح المدارس التي تعلم العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وغيرها بجانب المدارس الدينية في شرق الأناظول حيث يخيم الجهل والفقر على سكانه، ثم قابل السلطان نفسه وانتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات مما أثار نقمة حاشية السلطان التي لا تمثل فكر الشلطان فأحالوه إلى محاكمة عسكرية... وفي المحكمة تكلم بجرأة كبيرة، مما حدا برأسي المحكمة إلى إحالته إلى الأطباء لفحص قواه العقلية، وقد أصدرت لجنة الأطباء التي كانت مؤلفة من طبيب تركي وطبيب أرمني وطبيب رومي وطبيبين يهوديين قرار بوضعه في مستشفى} طوب طاش {للمجاذيب .وفي المحكمة حضر أحد الأطباء لفحص قواه العقلية، وبعد محاورة كتب تقريرا جاء فيه " :لو كان هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، فإن معني ذلك أنه لا يوجد على وجه الأرض كلها عاقل واحد ."وعلى إثر ذلك أرسل بديع الزمان إلى وزير الداخلية الذي عرض عليه مرتب ألف قرش مع هدية سلطانية ولكنه رفض قائلا ": إني لم آت لغرض شخصي إنما لمصلحة البلد فما تعرضونه علي ليس سوي رشوة للسكوت، إنني أريد أن أوقظ هذه الأمة ."وقد صرف جل همه في إلقاء الخطب وكتابة المقالات مبينا مفهوم الحرية في الإسلام ومطالبا بتحكيم الشريعة الإسلامية ومحذرا من التفسير الخطأ للحرية قائلا }:بني وطني لا تسيؤا تفسير الحرية كي لا تذهب من أيديكم، إن الحرية لا تتحقق ولاتنمو إلا بتطبيق الشريعة الغراء ومراعاة آدابها.{

٢- محاكمة ثانية لسعيد النورسي: لقد أحس الشعب التركي ببعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين إلى جانب علاقة أفرادها بالماسونية واليهود ولذلك فقد أشاعوا جوا من الإرهاب واغتالوا بعض الشخصيات الإسلامية وانتشرت الشائعات ونشأ عصيان بين رجال الجيش واجتمعوا في منتصف 13 نيسان1909 م في ساحة السلطان أحمد حيث انضم إليهم بعض الجنود من المعسكرات الأخرى وكانوا يهتفون } نريد الشريعة...نريد الشريعة .{وانتهي الأمر بوصول الجيش الحركة الذي وجهه الإتحاديون لقمع السلطان وإعادة سلطة الإتحاديين، وسيطر على الوضع وعزل السلطان وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة .كان دور النورسي دور الناصح للجنود بالعودة إلى ثكناتهم، ولكنه مع ذلك قدم للمحاكمة ليحكم عليه بالإعدام، وقال له الحاكم العسكري خورشيد باشا }:وأنت أيضا تدعو إلى تطبيق الشريعة؟... إن من يطالب بها يشنق هكذا مشيرا بيده إلى المشنوقين فقام سعيد النورسي و ألقي على سمع المحكمة خطابا قال فيه " :لو أن لى ألف روح لما ترددت في أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام، وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق، لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد والآن فإنها تعادي الحياة فليمت الجنون وليعش الموت وللظالمين فلتعش لجنهم ."وصدر بعد ذلك الحكم ببراءة سعيد من المحكمة التي شنقت العشرات، وبدأ النورسي يتجول بين القبائل يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق، وفي }وان{ ألف كتاب المناظرات الذي طبع في استانبول.

٣- المحاكمة الثالثة ومقاومة الإحتلال: في عام 1335هـ1916/م اندفعت الجيوش الروسية نحو الأناضول ، وكان النورسي يقاتل مع طلابه الجيش الروسي، وقد شهد له القواد الأتراك بحسن بلائه وتأثيراته في هذه المعارك، وفي خنادق القتال ألف كتابه} إشارات الإعجاز في نطاق الإيجاز {وفي مدينة نيليس جرح وأسر من قبل الروس وقدم للمحكمة بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي، وذلك لأنه لم يقم إحتراما للقائد الروسي وقد ألحوا عليه في الاعتذار حتى ينقذ نفسه من الإعدام فقال }:إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ،وإنني في حاجة فقط إلى جواز سفر في الآخرة، وأنا لا أستطيع أن أعمل ما يخالف إيماني .{ومن ثم مكث في الأسر عامين بعد أن قررت المحكمة إعدامه ، في يوم الإعدام أخذ الإذن بصلاة ركعتين وبعد الصلاة إعتذر القائد وقاله له أحييك على صلابتك في عقيدة وأرجو المعذرة .وفي عام1337هـ1918/م عين عضوا في دار الحكمة الإسلامية في استانبول دون علمه تقديرا له.

٤- تأليفه لرسائل النور: قام بديع الزمان النورسي بتأليف رسائل النور وهو في المنفي ، حيث قام بكتابة وتأليف أغلب رسائله وكتبه للرد على شبهات واتهامات الحاقدين على الإسلام والكائدين للمسلمين في نظره ، وشرح آيات القرآن الكريم وحقائقه وقام بتوضيح للآيات المتعلقة بأركان الإيمان بشكل يدحض أكاذيب الفلاسفة الأروبيين وشبهاتهم حول القرآن والتي اشتهرت فيما بعد بكليات رسائل النور، التي حصلت على براءة من محكمة آفيون23 مارس1956 م1375/هـ .وقد سخر حياته في بناء الشخصية المسلمة وإنقاذ المجتمع المهدد من انهيار حضاري وإيماني وأخلاقي من خلال أكثر من مائة وثلاثين رسالة انبثقت من هدي القرآن الكريم والسنة

النبوية، شرح فيها أصول العقيدة الإسلامية بأدلتها العقلية والعلمية، وقدم من خلالها مذهبية الإسلام الشاملة في الكون والحياة والمجتمع والإنسان بدقائقها وبمقدماتها ونتائجها، معالجا المشكلات الخطيرة التي أثيرت في عصره أمام الإسلام ...مبينا إعجاز القرآن الكريم، وصدق النبوة، وحكمة التشريع وإنسانية الإسلام، وعظمة مبادئه الروحية والأخلاقية.وقد قدم الرسائل بفهمه الخاص لما كان يجد فيه من لذة أسرار الأدلة، وحلول المشكلات التي تدخل الهدوء والاتزان إلى عقله المضطرب، وبفهمه العام لما كان يجد فيه من عرض الحقائق الكونية العويصة بأسلوب المنطق الفطري الذي كان يفهمه دون غيره، وقد استطاعت هذه الرسائل أن تبني في تركيا كلها مدرسة إسلامية روحية وثقافية مستقيمة المسالك أتت أكلها في كل مكان .لقد حملت رسائل النور معاول التوحيد الحق، وأهوت بها على مراكز الثقافة الفكرية والاجتماعية التي تفرعت من المدارس المادية التي سارت في القرون الأخيرة فأنقذت المجتمع التركي المسلم من كارثة حضارية محققة لأن الأمر وصل إلى تدريس تلك المبادئ المادية في المدارس والتمكين لها في نفوس الناشئة وأبناء الجيل الجديد على صفحات المجلات والصحف وعبر أجهزة الإعلام المتنوعة .وقد حاول النورسي من خلال رسائل النور أن يثبت أستاذية القرآن في الكون كله كي ينتهي إلى أن تلاميذ القرآن هم أساتذة الدنيا في التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة الحكيمة والروحية العالية والأخلاق السامية والسلوك الرباني المستقيم لتعود للمسلم ثقته بنفسه وإعتزازه بأستاذيته فلا يستبعد لمبادئ الكفر وأخلاق الكافرين حتى يعيد دوره الحضاري الكامل في هذه الدنيا وبذلك ينقذ البشرية بقوة مبادئه الربانية من الإلحاد والانحراف والانحلال.

ومن يقرأ رسائل النور والذي يستمر في قرائتها يجد في نفسه نشوة روحية وشفافية، ويكتسب غذاءا روحيا وعقليا لذيذا وسعة في الأفق وخصوبة في الخيال، يقول بديع الزمان النورسي ": إن طالب النور بعد أن يستيقن الإيمان ويستمر في قلبه بدراسته للكلمات، ينتقل إلى} المكتوبات{، ليغترف أجوبة لأسئلة كثيرة، أو ليعيش في صحبة الرسول صلي الله عليه وسلم، ثم ينتقل إلى} اللمعات {ليعيش مع الأنبياء عليهم السلام، وليأخذ حذره من الشيطان ومكائده وضلالات العلوم الحديثة حتى يرقي في النهاية إلى تذوق معاني الأسماء الحسني بعد أن أخذ حصته منها في} الكلمات{، أما إذا رأي في نفسه خوفا أو ترددا أمام أهل الضلالة وملاحقتهم له فعليه أن يقرأ} الشعاعات {حيث أن فيها التوحيد الخالص وأمور الرجال ودفاع الأستاذ في المحاكم.

*** التوجه الفكري والروحي للنورسي**

١- التوجه الفكري: لقد جاء النورسي في فترة من فترات التاريخ كانت الأمة الإسلامية في أشد الحاجة إلى فكر إسلامي مستنير يدعو إلى العمل والإنتاج، فلقد كان للفكر الهدام في كل عصر وجيل أثره ودوره التخريبي في حياة الناس، إلا أن البشرية لم تشهد في مرحلة من مراحل حياتها وضعا كان فيه للفكر خبراء ومتفلسفون، وأجهزة ومؤسسات كعصر النورسي، هذا العصر الذي اتخذ فيه الفكر صيغة الفلسفة والنظرية، والمبدأ الذي يعتنقه الأتباع، ويدافعون عنه .ولقد كان النورسي مفكرا مستنيرا ومجددا للفكر الإسلامي ، إذ يقول العلماء أن النورسي مجدد لا نظير له في مسلكه في العصر الحديث، لأنه لم ينطلق من علم معين ولا يبدأ من أستاذ موجه على الرغم

من أساتذته الكثيرين ودراسته علوما متعددة ومطالعته لمعارف واسعة ولكنه انطلق انطلاقا قرآنيا من الكون كله.

ولأن تأثر النورسي بالفكر الفلسفي وعلم الكلام وكان يغلب عليه التعمق في التفكير والعقلانية في معالجة المسائل العلمية والدينية والرد على الشبهات . إلا أنه تمسك بالأسلوب الوجداني الذي يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله ، فبديع الزمان له طبيعة متأبية على المقولات والمفاهيم، فليس من النوع الذي يتلقى الحقائق بلا اقتناع فهو ذو شخصية تفكيرية وتحقيقية يقلب النظر فيما حوله بلا انقطاع .

وأما ما يتعلق بالجانب الموضوعي وأثره في توجهه الفكري والوجداني ، فقد كان للتحولات العالمية والمحلية الكبرى الواقعة يومئذ، بما صاحبها من حركات سياسية واجتماعية وفكرية أثر كبير في رسم معالم منهجه التجديدي، وما أبصره النورسي بنضره الثاقب من حملات استئصالية رهيبة لكل ما يرمز للدين شكلا ومضمونا إثر الانهيارات الكبرى التي عرفتها الدولة العثامنية، ومانخر جسم الخلافة من وهن وضعف بعد الثورة الروسية خاصة، ثم فشل المحاولات التي قادها مشايخ معاصرون لها لإعادة الأمور إلى نصابها بالقوة أو بالدروشة . كل ذلك جعله يرفع صوته مبادرا إلى استلام زمام المبادرة لخوض غمار التحدي بالقرآن، قائلا قولته المشهورة ":إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان، وإنقاذ الإيمان أعظم إحسان في هذا الزمان ." فالمشروع التجديدي لبديع الزمان النورسي هو على المستوي المنهجي مقارب للتصوف ومفارق له في الآن ذاته ، ذلك أن التصوف في تصور النورسي_ بالنظر إلى ظروف عصره _إنما هو ضرب من الترف الروحي وحاجة العصر هي التي تحدد قيمة المفاهيم وأولوياتها، ومن هنا كان نظر بديع الزمان النورسي إلى سائر المناهج العلمية مبنيا على مدي نجاعتها في الإصلاح بالنسبة لحال الزمان وأهله .وإن المتطلع في مؤلفات النورسي يجد أن فكره الإسلامي لا يمتاز بالعمق والشمول والأصالة فحسب، بل ويملك القدرة الفائقة والمستمرة على استيعاب التطور، والاستجابة لكل متطلبات الحياة .لقد أدرك النورسي أن الفكر كان وسيظل عبر التاريخ الإنساني يحتل مركز الصدارة في مجال التخاطب ونشر الثقافة، والوعي في المجتمعات.

٢- التوجه الروحي :يري بديع الزمان النورسي أن ضياء القلب هو العلوم الدينية وأن نور العقل هو العلوم الكونية الحديثة، وباندماجهما تتجلى الحقيقة وبافتراقهما تتولد الشبهات في هذا والتعصب الذميم في ذاك...وبذلك أستطاع علم التوحيد على يد النورسي أن يحدث

تغييرا شاملا في سلوك الأفراد والجماعات، وانقلب إلى قوانين حركة التغيير الفكري والاجتماعي وإلى الإيمان والأصالة واستقلال الذات في حياة المجتمع.

وككل علماء عصره كان للنورسي طابعا علميا أنطلق في طلبه فتوجه للعلم الرباني والمعرفة القلبية من مدارج التصوف وقواعده، فقد تتلمذ بدء أمره على يد الشيخ سيد نور مُحَمَّد النقشبندي وذلك أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، فقد كان التصوف هو اللحمة الجامعة لأدب الطلب وأخلاق التعلم، كما كان هو القانون المنظم للعلاقة بين الشيخ والتلميذ .فالنورسي يجل التصوف ويقدر شيوخه ، فهو لم يسجل قطيعة "ابستمولوجية "مع الفكر الصوفي، بما يجعله وإياه على طرفي نقيض وإنما الذي يمكن قوله : هو أنه جدد الفكر الصوفي نفسه، بمحاولة إعادة إنتاج الحقائق القلبية

الإيمانية . ومثال ذلك نقله كلاما عن الشيخ شاه نقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية ثم علق عليه بمقارنات لطيفة، وبأدب جم ورفيع فخرج بمعادلات تربوية ذات بعد منهجي متوازن، تدل على قبوله للفكر الصوفي من جهة ، وتجاوزه له من جهة ثانية، بناء على معطيات العصر الموصوفة قبل، وما تفرضه من أولويات.

وإن أكثر ما نلتمس فيه البعد الروحي في فكر النورسي هو حرصه الشديد على الالتزام بالإيمان في جميع جوانب دعوته ، فهو يعتبره قوة عظمي تسمو به إلى أعلى علّيين، وهو نعمة كبري توصله وتربطه بخالقه ، ونور يضئ جنبات الكائنات .ويري النورسي أن الإنسان هو الصنعة الرائعة للخالق الصانع سبحانه وتعالى ، فإذا استقر نور الإيمان في هذا الإنسان فإنه يتحول إلى مرتبة أسمي المخلوقات قاطبة وبذلك يصبح مؤهل للضيافة الربانية في الجنة .ويري النورسي أن للإيمان محاسن عدة اختصرها في خمس محاسن، إذ يقول في المقالة الثالثة والعشرين من مجموعة المقالات من كليات رسائل النور : "نبين من آلاف محاسن الإيمان خمسة محاسن فقط من خمس نقاط ".

١- النقطة الأولى :أن الإنسان يطلع بنور الإيمان إلى أعلى عليين، لأن الإيمان انتساب.

٢- النقطة الثانية :أن الإيمان ينور الكائنات أيضا، وينقذ الزمان الماضي والمستقبل عن الظلمات.

٣- النقطة الثالثة :أن الإيمان نور وقوة.

٤- النقطة الرابعة :أن الإيمان يجعل الإنسان إنسانا.

٥- النقطة الخامسة :أن الإيمان يقتضي الدعاء.

إن هذه المحاسن التي جاءت من آلاف محاسن الإيمان، تملأ النفوس بالفضائل وتزكيها، وتقوم الضمائر، وتسدد العزائم ، وتزكي القلوب، وتغذي العقول.

فالإيمان ليس في واقع منهج بديع الزمان التربوي، سوي سلوك هادف وواعي، سلوك ليس خياليا أو وهميا، بل إنساني وعملي، يبلغ أقصي درجات الدقة في التحقيق حينما يرقي بالسالك، وإذا وقفنا عند النقطة الأولى من نقاط محاسن الإيمان والتي تتضمن أن الإنسان يطلع بنور الإيمان إلى أعلى عليين ."وجدنا أن بديع الزمان يتابع ذلك بقوله ":ذلك أن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد، ونسبه إليه، فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية.

إنه منهج يعطي المؤمن ويزوده بإيمان تحقيقي بدرجة عين اليقين وحق اليقين ، فلا يتزعزع المؤمن أمام الشبهات، ويبقي المؤمن محافظا على طمأنينة القلب وسكينته، وتلك هي عين الحقيقة الإصلاحية التي قام عليها مشروع النورسي الإصلاحي التجديدي، ومن أجلها مشروع إنقاذ الإيمان وتجديده في المجتمع الإنساني، هذا المشروع الذي اعتمد فيه خاصية تجديد الوعي بالقرآن من خلال منهج يمزج بين إقناع العقل وتنوير القلب والروح، وهو منهج قرآني يكسب المؤمن توحيدا حقيقيا وإيمانا يكون أقرب ما يكون إلى الشهود بوحدانية الله سبحانه، وبصدور كل شيء من يد قدرته فينفتح من كل شيء نافذة إلى معرفته سبحانه من الذرة إلى الشمس .وهذا المنهج النورسي الروحاني القلبي يكفي للوصول إلى الحقيقية لتلك المعرفة الإيمانية.

*** مفهوم السعادة في فكر النورسي**

الحياة تحكم الإنسان بطبعه أكثر ممّا يحكمها، فالسَّعادة والطُّمأنينة ورضا النَّفس هي أرزاقٌ من مقسّمِ الأرزاق، يهديها إلى النَّاس أكثر ممّا يهتدون إليها بأنفسهم، فإنَّ من عرف السَّعادة في الحياة صاحب حظّ كبيرٍ ونعمة

غامرة حرِم منها كثيرون غيره، وهو بذلك أدرك كلَّ شيء وإن كان ينقصه الكثير، وأمَّا من افتقد هذه النّعمة فقد افتقد كلَّ شيء وإن اكتملت أسباب الرَّفاه في حيَاته، وهذا سرُّ الحياة الذي لا يحتكم إلى قواعد واحدة ولا إلى شروط ثابتة يتحقَّق معها الهناء أو ينقطع دونها، ومفهوم السَّعادة هذا يوافق مفهوم السَّعادة في الإسلام عند النورسي .فأي علاقة للسعادة بحياة المؤمن؟ وما هو مفهوم اللذة لدي بديع الزمان النورسي؟

*** علاقة السعادة بحياة المؤمن في فكر النورسي**

أولى بديع الزمان النورسي في رسائل النور أهمية خاصة بالإنسان، المملوء بالكثير من الاحتياجات والتي لا يمكن تلبيتها لأنها لا محدودة إلا من من له قدرة لا نهاية لها وعلم محيط شامل لا نهاية له، ألا وهو الله سبحانه، فالله سبحانه قد هيئ الإنسان لاستقبال معونة الله ولطائفه ليرتقي في درجات معرفته، وبذلك فإن سعادة الإنسان تكون بحسن توجيه جهازاته المعنوية ورعايتها تحت ظل العبودية، لأن" إخضاع تلك اللطائف السامية ...لأوامر النفس والهوى وطمس وظائفها الأصلية يعتبر سقوطا وانحطاطا وليس ترقيا وصعودا ."وينبهنا الأستاذ النورسي إلى أن سعادة الإنسان الحقيقية، لم تكن قط بالانغماس في المتع واللذات الدنيوية الفانية، وإلا فإن الحيوان يسبقه في هذا المضمار بأشواط كثيرة،" لان الإنسان يجد مع كل لذة يلتذ بها وتذوقها آثار آلاف الآلام والمنغصات، فهناك آلام الماضي وغصص الزمن الخالي، ومخاوف المستقبل وأوهام الزمن الآتي، وهناك الآلام الناتجة من زوال اللذات"على حد تعبير بديع الزمان.

إذ يقول في سيرته الذاتية معبرا عن تحول الألم بالإيمان إلى سعادة بنجدة الله له }: حينما كنت في منفاي ذلك الأسر الأليم بقيت وحدي منفردا منعزلا عن الناس على قمة جبل" جام "المطلة على مراعي" بارلا "كنت أبحث عن نور في تلك العزلة...فشيخوختي تنذرني بدنوي من موعد فراق الدنيا...ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأت أبحث عن نور وعن قبس أمل ، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء الإيمان بالله، لنجدتي ولشد أزري ومنحني أنساً عظيما بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافا مضاعفة لكان ذلك الأنس كافيا لإزالتها ...نعم أيها الشيوخ ويا أيتها العجائز ...فما دام لنا خالق رحيم

فلا غربة لنا إذاً أبدا ...ومادام سبحانه موجودا فكل شيء لنا موجود إذن، ومادام هو موجود وملائكته موجودة فهذه الدنيا إذا ليست خالية.{

إنّ بديع الزمان سعيد النورسي يعتبر الحياة كلها بالنسبة للمؤمن لذة ومصلحة وسعادة، وأنها بالنسبة إليه صورة مصغرة من نعيم الجنة، وأن الحياة كلها ألم بالنسبة للكافر المعاند، وإن بدا للناظر أنه في سعادة ولذة لأنها سعادة ولذّة موهومة لا حقيقية، ولذة قليلة فانية، فهو وإن بدا عليه آثار السعادة إلا أنه شقي في أعماقه .ويبين النورسي رحمه الله ذلك بقوله" :إنّ نوازع الإنسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبى، فتفضل درهما من لذة عاجلة على قنطار من لذات آجلة.

لذا فالسبيل الوحيد لإنقاذ السفيه من سفهه، هو الكشف عن ألمه في لذاته نفسها ."فلذّات الدنيا إذن مهما بلغت فهي قليلة جدا في مقابلة اللذة الحقيقية التي هي لذة الجنة الأبدية .ولا شك أن العاقل إذا خير بين لذة آنية، ولذة لا حدود لها، فإنه سيختار اللذة الدائمة، وهذا ما قرره سعيد النورسي في هذا النص .ويقول أيضا" :إن أهل الضلالة يعيشون في جهنم في هذه الدنيا، وإن أهل الهداية يذوقون لذائذ الجنة في هذه الدنيا أيضا ... وإن الإيمان

بذرة معنوية من بذور الجنة، والكفر نواة من نوى زقّوم جهنّم ."

ويري النورسي أن المؤمن تكمن سعادته في التأييد الإلهي له وأن القوة التي يمنحها الله للمؤمن لا تضاهيها أي قوة في العالم وتلك القوة هي التي تهبه السعادة الحق ، السعادة التي منبعها اليقين بالله وصدق المحبة والعبودية له، والتوحيد الخالص من كل شك وريب كفيل بجعل الإنسان في أرقي المراتب من السعادة، لأنه وبكل بساطة في معية خالق عظيم لا يمكن أن يخرج من غمار السعادة إلا ليدخل في سعادة أعظم منها، يكاد لا يدركها بعقله البشري .ولعلنا هنا نستشهد بقول مختصر له { :ووحدانية الربوبية بلا شريك وحقائق القرب الإلهي قرباً أقرب إلينا من أنفسنا...وكذا القدرة الإلهية المحيطة بكل شيء...هذا فضلا عن الحقائق الإيمانية والقرآنية لها من السعة والشمول ما لا يمكن أن يحيط به ذكاء أذكى إنسان.}

إذا فالنورسي يري أن الإيمان بالله وحده يضمن للإنسان لذة وسعادة ممهدة إلى السعادة واللذة الدائمة في الجنة لهذا نجد المؤمن بالآخرة يتمتع بسعة النفس وبعد الرؤية ، وتفاؤل في التحليل ومن ثم إطمئنان في القلب، نعم، إن أهل الإيمان يتمتعون في هذه الحياة الدنيا بنفوس منشرحة وصدور رحبة، وكل حياتهم سعادة،" ويشعرون بلذة عميقة حقيقية راسخة، وهذا الإيمان يقتضي القناعة والمحبة و الرحمة والشفقة والكرم وغيرها من الصفات الذاتية الحقيقية التي تنبع منها لذة حقيقية .فمن أراد أن يتمتع بلذة الدنيا، والتنعم بسعادتها، فإن اللذائذ المشروعة تغنيه عن كل شيء، فهي كافية لتلبية رغباته .يقول النورسي" :إنّ الذوق الحقيقي، واللذة التي لا يشوبها ألم، والفرح الذي لا يكدره حزن، والسعادة التامة في الحياة، إنما هي في الإيمان، وفي نطاق حقائقه ليس إلا."

*** السعادة والجمال في فكر النورسي**

إن حقيقة الجمال وأصله ولبه وجوهره هو جمال الله تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وكل جمال في ما سواه من الخلق والعالمين إنما هو قبس منه وضع دليلا إليه ومذكرا به، والحياة على ظهر الأرض كلها سعي إليه ووسيلة للرقي نحوه، فكل لذة مادية أو معنوية يجدها الإنسان في الدنيا تذكير وتنبيه به .والمطلع على فكر بديع الزمان النورسي أو حياته، يجد أن مسألة الجمال عنده مسألة عظيمة القدر، جليلة الشأن ، فقد كان النورسي لهجا بالجمال مولعا به، لا يري إلا وجهه ولا ينظر إلا إلى آثاره . فحيثما نظر حدثك عن الجمال، إن نظر إلى القرآن الكريم رأي الجمال وإن نظر في الكون لم يشاهد سوي الجمال، يحدثك عن الجمال حيثما كان ويصف لك ما يجده من لذته في كل ما يعرض له من الأحوال التي تحف بالإنسان ، حتى في حال البلاء وفي وسط المحنة.

وإذا كانت المنظومة الفارابية تربط بين ما بعد الطبيعة والمدينة الفاضلة، ربطا محكما لا يخلو من جمال، لتؤكد على وحدة الكون وجمال بنائه وضرورة تشييد صرح المدينة الفاضلة ليزداد جماله، فإن حضور عنصر الجمال في مشروع النورسي لا يبتعد عن الفضيلة والمجتمع الفاضل الذي به تسير الإنسانية نحو السعادة ، بل يربط بين السعادة والجمال ربطا دينيا عقديا يستند في التأكيد عليه من القرآن والسنة، فعند النورسي يؤكد الأمر النبوي، بوجوب الدعاء بأسماء الله الحسني، كما ورد في الحديث النبوي، والتي تؤدي عمليا إلى التخلق بأخلاق الله ، لقد قال الرسول صلي الله عليه وسلم } :إن الله تعالى، جميل يحب الجمال .{ويري النورسي أن صفة" الجميل"، هي أهم صفة إلهية، لأنها تستوعب كل الصفات الأخرى، ولأنها تسري في كل صفاته، وأسمائه، وأفعاله .إنه العشق الإلهي لهذا الكون،

ولأن يكون المجتمع الفاضل على غرار جمال هذا الكون، وليكون مقصد أفراد هذا المجتمع الفاضل :التعاون من أجل التحقق بصفة" الجمال "والتخلق بأخلاق" الجميل ."وهذا يعني أن وظيفة الإنسان، داخل المجتمع وظيفة جمالية، وهي تمثل باسم الله الجميل والقصد من هذا التمثل هو إعادة تنظيم الحياة تنظيما جماليا يسود فيها العدل والمحبة والسكينة والرحمة .

وكمال الجمال ليس من صفات الحياة الدنيا عند النورسي، وإنما الجمال الموجود في الدنيا قبس يسير من الجمال الكامل، وليس من جمال كامل إلا جمال الخالق العظيم، فكل نقص يدل على الكمال، ولما لم يجد الإنسان كمال الجمال في الحياة على ظهر الأرض، دل ذلك بداهة على أن كمال الجمال يناسب كمال الجلال ...وأن جمال الدنيا ولذتها ليست مقصودة لذاتها لأنها ليست لذة بذاتها، إنما جمال الدنيا ولذتها طريق يسلكه الإنسان إلى جمال آخر . فجميع الناس كما قال النورسي " :يغادرون دور الضيافة أي الحياة الدنيا هذه بسرعة ويغيبون عنها بالا إرتواء من نور ذلك الجمال والكمال، بل قد لا يرون إلا ظلالا خافتة منه عبر لمحات سريعة .ولأنه نحن نشاهد رحلة كل شخص فالرحلة إذن منطلقة إلى مشهد دائم خالد واختفاءه بسرعة في دار ضيافة الدنيا هذه، دون أن يستمتع بإحسان ذلك السخاء إلا نزرا يسيرا بما يفتح شهيته فقط ، ودون أن يرى من نور ذلك الجمال والكمال إلا لمحة خاطفة .إذن الرحلة منطلقة نحو متنزهات خالدة ومشاهد أبدية.

هكذا إذن تبدأ رحلة الإنسان في البحث عن كمال الجمال، فينطلق أولا بربط التواصل مع جمال الكون الا أنه ليس بالإمكان في الدنيا أبدع من نظام الكون وجمال الخلق وحسن الصنعة، فهو واجد فيه ما يذكره بكمال الجمال ويفتح شهيته إليه، لأن ما في الكون من الجمال والحسن إنما بثه الخالق المدبر الجليل الجميل، فهو قبس من نوره، فمنه يستمد الكون جماله وتأخذ المخلوقات كلها زينتها وتكتسي حلل الحسن والبهاء .وكأني ببديع الزمان النورسي قد أحس بالحاجة إلى تقديم الدليل الشاهد على ما ذهب إليه من أن جمال الكون قبس يسير من جمال الله ، فذهب يلتمس من الشواهد الدالة على ذلك ما لا يمكن حصره، فيبدأ من جمال الكون نفسه لأنه سهل التناول ميسور الإدراك عند جميع البشر مهما اختلفت.

*** علاقة العدالة بالسعادة في فكر النورسي**

تعتبر فكرة العدالة من أهم الأفكار التي تأسست عليها نظريات بديع الزمان النورسي، بيد أن هذه الفكرة في علاقتها بالسعادة ، اختلفت في تصوره عن غيره من العلماء والمفكرين، لأنها اتخذت بعدا واقعيا، وأيضا ذوقيا عرفانيا، يصبو إلى إقامة مجتمع فاضل يعيش فيه الإنسان، ويتحقق فيه سعادته بالقرآن الكريم، قلبا وقولا وسلوكا.

والعدالة الحقيقة عند النورسي تقوم على أساس الحرية الشرعية، وهي أيضا تتأسس على النظر والتأمل في هذا الكون البديع والجميل، وقد قيست عند النورسي أيضا بالآخرة ، التي يتحقق فيها المقصد الأعظم للنورسي وهو السعادة، فالعدالة عنده هي السعادة بمعني أن السعادة التي ينالها المؤمن في الآخرة بدخول الجنة يجب أن تكون مقياسا يقاس عليه السعي لتحقيق سعادته في الدنيا، المرتبطة بالأساس بمدي عدله مع نفسه ومع غيره من المخلوقات وكذلك مدي عدله في التعامل مع الكون المسخر له .إن هذا المفهوم الذي يؤكد الأبعاد القرآنية والنبوية الحاضرة في فكر النورسي حول السعادة، يصل بنا من العدل الإنساني إلى العدل الإلهي الذي أعطي للإنسان كل ما يحقق له العدالة في الأرض ويحكم بين الناس بالعدل حتى يحفظ حياتهم من القتل ورزقهم من السرقة ومشاعرهم من الكره .

وهذا العدل الإلهي يحقق السعادة الإنسانية الحقيقية .والتي يري النورسي أن الله سبحانه أعطي بها الإنسان قيمته العليا :يقول النورسي }:ومن هنا، فإن قيمة الإنسان، تتفاوت بتفاوت مرتبته في الإيمان،'' وحيث إن أشرف الموجودات هم ذوو الحياة، وأنبل الأحياء هم ذوو الشعور، وأكرم ذوي الشعور هم بنو آدم الحقيقيون الكاملون .لذا، فالذي أدى، من بين بني الإنسان المكرم، تلك الوظائف المذكورة آنفا، وأعطى حقها من الأداء، في أفضل صورة، وأعظم مرتبة من مراتب الأداء، لا ريب أنه سيعرج- بالمعراج العظيم -فيكون قاب قوسين أو أدنى، وسيطرق باب السعادة الأبدية، وسيفتح خزائن الرحمة الواسعة، وسيرى حقائق الإيمان الغيبية رؤية شهود.{

أما حكمة القرآن الكريم كما يقول النورسي فهي تقبل الحق والعدل نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من القوة، وتجعل رضا الله تعالى ونيل الفضائل هو الغاية بدلا من المنفعة، وتتخذ دستور التعاون أساسا في الحياة بدلا من دستور الجدال، وتلتزم برابطة الدين والوطن لربط فئات المجتمع بدلا من العنصرية والقومية السلبية وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمارة، ودفع الروح إلى معالى الأمور، وتطمئن مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال.

وأي أخلاق أو تنظيم أو جمال في المجتمع فهو يرجع بالأساس إلى خلق العدالة وروحها المستمدة من تجليات الأسماء الحسنى :وقد ثبت ببراهين دامغة في أغلب أجزاء رسائل النور أن فعل التنظيم والنظام الذي هو تجل من تجليات الحكم والحكيم، وأن فعل الوزن والميزان الذي هو من تجليات العدل والعادل، وأن فعل التزيين والإحسان الذي هو تجل من تجليات اسم الكريم والجميل، وأن فعل التربية والإنعام الذي هو تجل من تجليات اسم الرب الرحيم، كل فعل من هذه الأفعال هو فعل واحد وحقيقة واحدة تشاهد بوضوح في آفاق الكون كلّه.

فماهي إذا علاقة السعادة بالفضيلة عند النورسي؟

*** علاقة السعادة بالفضيلة عند النورسي**

يري النورسي أن الفضائل في الإسلام غاية لا تقوم السعادة إلا بها ، بينما في الفلسفة تهدف للمنفعة في كل شيء، وتتخذ القوة دستور الحياة، وثمراتها إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تزويد جموح النفس وإثارة الهوي، ومن هنا نلمس سلبية سعادة البشرية من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة .

إن حسن الخلق والتعامل الأخلاقي والحضاري مع الآخرين قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام .والشخصية المطلوبة التي تمثل الإسلام وقيم القرآن هي المتخلقة بأخلاق القرآن التي يمكن لها أن تعيد بناء حضارة إنسانية تتناغم فيها الأخلاق بين التصور والسلوك، وقد ركز النورسي في رسائله على مصدرين أساسيين للفضيلة حيث يري أنها تقوم على :-

١- القرآن الكريم :باعتبار أن القرآن الكريم الحقيقة المطلقة والمركزية عند المسلمين التي تحتوي رسالةَ الله المتميزةَ بدلالات قيمتها الثابتة والدائمة، من مرتكزاتها منظومةٌ أخلاقية متكاملة تعقد الصلة بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين الكون من حوله ابتداء من ذاته إلى مجتمعه إلى أخيه الإنسان أينما كان إلى الطبيعة من حوله يلخصها النورسي في قوله بأنها نظام الأخلاق الذي يطبع صورةَ الروح الإنسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني، أي إن الفضائل نظام ونسق كلي تقوم عليه تصرفات الإنسان وعلاقاته في هذا الكون .وقد خصت رسائل النور بقيمة كبيرة لإشاراتها القيمة من القرآن الكريم، ويعبر النورسي عن هذا التوجه أحيانا بقوله ":إن القرآن

بمجموعه قوت وقوة للقلوب بمعني أن حياة القلوب لا تكون إلا بمعرفة الله، تعالى وشؤون ربوبيته ".ولما كان هذا الهدف الكلي هو أساس وجود الخلق كان حريا أن يعرفه كل إنسان مهما كان مستواه العلمي أو تحصيله المعرفي ولذلك يري النورسي أن المقصود الأهم من القرآن الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس، لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام .

٢- السنة النبوية :باعتبارها القدوةَ الحسنة أو التطبيق العملي لكل الأخلاق الإنسانية المتضمنة في القرآن الكريم بحيث يمثل صلى الله عليه وسلم واقعا حيا وسلوكا طبيعيا يزاوج بين القول والفعل .يقول النورسي" :إن أعظم معجزة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة، أي ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة .وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدراً وأعظمهم محلاً وأكملهم محاسن وفضلا ."إن هذا المجتمع الفاضل، يجب أن تحدده أخالق الرسول صلى الله عليه وآلة وسلم، وما تميزت به من أخالق عظيمة، وأن يكون الصفح، واللين، والعدالة، أساسا في بناء المجتمع .فإن هذا يعني أن هذه الشخصية العظيمة، يجب أن تكون النموذج الخليق بأن نتمثل في حياتنا الدنيوية، بمعنى أن نستحضر الصفات الأخلاقية والعرفانية، التي حلاه الله بها في القرآن الكريم، فقال له :﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ .﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ .مما جعل -"بالبداهة -أعظم من استوفى مهمة الرسالة بالقرآن الكريم، وأداها أفضل أداء، في أسمى مرتبة، وأبلغ صورة، وأحسن طراز، فلبى إرادة رب العالمين، في صرف وجه هذا الإنسان، من الكثرة، إلى الوحدة، ومن الفاني، إلى الباقي . ذلك الإنسان، الذي خلقه سبحانه ثمرة للعالم، ووهب له من الاستعدادات ما يسمع العالم كله، وهيأه للعبودية الكلية، وإبتاله بمشاعر متوجهة إلى الكثرة والدنيا .ومما يؤكد حضور نموذج النبي الأكرم عند النورسي، أنه جعل الحقيقة المحمدية هي الخيط الدقيق والهام، الذي يجب أن نبحث عنه في مسيرة الصراع مع الحياة، وفي مشروع البناء والتأسيس.

ويقول في رسائله مؤكدا على ذلك ":فنحن نقدس بلا حد ولاية عدالتك وجمالك المطلقين ورحمتك الواسعة وننزهها من هذا الظلم والقبح غير المتناهي .. ونعتقد ونؤمن بكل ما اوتينا من قوة بأن الآلاف من الرسل والأنبياء الكرام، وبما لا يعد ولا يحصى من الاصفياء والأولياء الذين هم المنادون اليك هم شاهدون بحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين على خزائن رحمتك الأخروية وكنوز احساناتك في عالم البقاء، وتجليات اسمائك الحسنى التي تنكشف كلياً في دار السعادة".

ولعله من الطبيعي أن يعتمد هذان المصدران من قبل النورسي، وقد تجاوز ذلك في جعل هذين المصدرين حاكمين في قراءته للفضيلة والأخلاق، فمصدرية القرآن والسنة عند النورسي مصدرية حاكمة وليست مصدرية شاهدة، وبذلك فهي تنفي أن تكون الفضائل شخصية المنشأ، وإنما مصدرها الله تعالى، لأنه خلق في الإنسان الفطرة التي تستقبلها وتصرفها خيرا أو شرا .ونتيجة لحاكمية القرآن والسنة في فكر النورسي صار لا يتحدث عن فضيلة ولا يفسر فضيلة ولا يربط خلقا بخلق إلا وهو يستحضر نصوص القرآن والحديث ، مما يعني أن هذه النصوص لا تقدم له شهادة عن دلالات الأخلاق فحسب وإنما تعطيه منهج التعامل مع الفضائل وفلسفتها في ضبط السلوك وتوجيهه.

*** المجتمع الفاضل في فكر النورسي**

ينبني المجتمع الفاضل عند النورسي على قيمة الإنسان، وتعد فطرة الإنسان أهم سبب لتكون المجتمع الفاضل، فالمجتمع الفاضل عند النورسي إنما هو مجتمع الفطرة "جامعية فطرة الإنسان "على حد قوله، ومجتمع الفطرة يستلزم أيضا أنه مجتمع الكرامة ، لأن بالفطرة والوجدان يكرم الإنسان، وهو صفوة المخلوقات، فلولاهما لتردي الإنسان إلى أسفل سافلين، ويربط النورسي قلب الإنسان بمعرفة الله، إدانا منه بحضور العنصر العرفاني في مشروعه، الذي نراه يقارب في أغلب جوانبه مشروع المدينة الفاضلة، فقد جعله النورسي من أهم مسالكه في الكشف عن الحقائق وبيان عمق المشاريع التي يهدف إلى بيانها، فقد بين أن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية فيه، وهي معرفة الله، تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشبعة في مواهبه، واستعداداته غير المحدودة، كل بما يلائمه ، فتقطر فيها اللذة والنشوة وتزيدها قيمة وأهمية ، بل تبسطها وتسقلها .وبذلك نقول أن النورسي ابتغي إعادة بناء السلطة المركزية، وبالتالي بناء المجتمع كله، على أساسين متقاربين، حيث أسسها الأول على أساس الولاية ، وأسسها الثاني على أساس الحقيقة المحمدية، هي البذرة الأصلية للكون، وسبب خلقه، وأكمل ثمرته وأن رب العالمين جل جلاله قد جعل تلك الشخصية المعنوية المحمدية داعيا رفيعا إلى سلطان ربوبيته، وكشافا صادقا لطلسم الكائنات ومعمي الخلق، ومثالا ساطعا لألطافه ورحمته، ولسانا بليغا لشفقته ومحبته، وأعظم مبشر للحياة الدائمة، والسعادة الأبدية في العالم الباقي، وخاتم مبعوثية وأعظم رسله صلي الله عليه وسلم.

إن هذا المجتمع الفاضل، يجب أن تحدده أخلاق الرسول صلي الله عليه وسلم وما تميزت به من أخلاق عظيمة وأن يكون الصفح واللين والعدالة أساسا في بناء المجتمع، وهذا يبين لنا أن نظرية المجتمع الفاضل عند النورسي تجعل النبي الأكرم هو محور هذا المجتمع ، ومن هنا يمكن أن نقول أن مجتمع النورسي هو مجتمع قرآني مُحَمَّدي .

ومما يؤكد أيضا واقعية المجتمع الفاضل عنده كان بجعله الإنسان يتبوأ فيه مقام المحورية، أنه بني هذا المشروع على فكرة بناء الحاضر بالإنسان، الذي لا ينظر في آفاق ضيقة، تتجاهل عنصر التسلسل الزمنى، بل يرمي بالنظر في الماضي ويستشرف المستقبل .يقول ": ومع ذلك، إن الإنسان ليس كالحيوان مبتلي بآلام الحال فقط ، بل يضرب رأسه خوف المستقبل، وحزن الماضي، مع ألم الحال ".

*** خاتمة**

يعتبر النورسي واحدا من أعلام الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي ، فقد عاش في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .في فترة كان العالم الإسلامي يعيش تحت سيطرة المد الإلحادي التغريبي وفي ظل هذه الظروف فقد تهددت العقائد الإسلامية شبهات المادية التغريبية .لذا أخذ النورسي على عاتقه التصدي لهذه التيارات الهدامة . حيث أقام البراهين العلمية على إثبات العقيدة الإسلامية . كما تصدي بالنقد للفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية مطالبا بأن نستمد العمل من القرآن الكريم .لأن القرآن الكريم جوهر الحضارة الإسلامية والحضارة الإسلامية تمثل التكامل والتوافق في إنقاذ الإيمان بما احتوته من خيري الدنيا والآخرة . وهذا ما جعل فكر النورسي يكتسب سمته الخاصة من الروحانية الذي اضطلع به في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر.